نبأ من جزائر الفيليبين

لحضرة الاب دبونيس لنش اليسوعي

مرّ بنا في الشهر المنصرم احد آباء رسالتنا في جزائر الفيليبين قضى في اطرافها ستّ سنوات يشتغل بين اهلها الوطنيين كلّ اشغال الرسالين من وعظ وتعليم وتوزيع اسرار ورعاية نفوس وتدبير احوال الى غير ذلك ممّا اوقفهُ على جميع امور تلك الجزائر فتلطّف وكتب لنا مقالة اجماليّة عن تلك الجزائر الشهيرة عرّبناها لفائدة قرّائنا

موقعها وتحديدها جزائر فيليبين معدودة من جملة ارخبيل مالية الذي موقعه في اقاصي الشرق الاقصى في اوقيانية الاميركيّة بين الاوقيانوس الهادي شرقاً وبحر الصين غرباً يحدُّها جنوباً جزائر الملوك وغرباً بلاد قمبوجيين وشمالاً بلاد الصين. وهي عبارة عن مجموع جزائر عديدة تختلف كبرًا وشأنًا يبلغ عددها ١٥٩٢ جزيرة بينها ١٢ جزيرة كبيرة اخصُّها جزيرة لوسون في الشمال الغربي وجزيرة مانيليا وسمار وميندور في الوسط ثم ميندناو وارخبيل جولو في الجنوب. ومساحة هذه الجزائر تبلغ نيفًا و٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع

تاريخها واسمها وقع اكتشاف جزائر الفيليبين سنة ١٥٢١ وذلك بهمّة البحّار الشهير ماجلّان فدعاها الناس مدّة ما ماجلّانيّة باسم مكتشفها. امّا هو فاطلق عليها اسم ارخبيل القديس لعازر لانّهُ توفّق الى اكتشافها في يوم عيد هذا القديس الذي اقامهُ الربّ من الموت. وكلا الاسمين أُهمل بعد قليل بساعي لويز دي ڤيلالوبوس الذي تولّى تدبيرها فسمّاها فيليبين نسبةً الى ملك اسبانية فيليبّوس الثاني. وكانت الفيليبين اوّلًا من املاك البرتغاليين لكنّها أُلحقت بمستعمرات اسبانية بعد زمن قليل سنة ١٥٢٩. وبقيت منذ ذاك الحين خاصّة ممالك اسبانية فكانوا يرسلون اليها حكّاماً يسوسون اهلها ويهتمّون بمصالحهم وكان يساعدهم في تدبيرها قوم من اهلها يختارونهم لوظائف الحكومة ويقيمون منهم جندًا لحفظ السلام. امّا الاسبانيّون فكان عددهم فيها قليلًا. وكانوا قسموا البلاد الى ٣٠ ايالة جعلوا لكلّ منها رجالًا وكلوا اليهم تدبيرها والعناية بشؤونها

وكان الاسبان لمَّا استولوا على جزائر الفيليبين قد احسُّوا بما تقتضيه تلك البلاد الشاسعة من القوَّة والنفقات العظيمة ليوطدوا فيها ملكهم فعدلوا الى القوَّة الادبيَّة ودعوا المرسلين لموازرتهم اخصُّهم الاوغسطينيُّون والدومنيكان واليسوعيُّون فقام هؤلاء بمهمتهم احسن قيام فكانوا يكرزون ويبشرون ويعلِّمون ويهذِّبون تلك الشعوب الهمجيَّة واذا حصل بينهم خصام او لحق بهم ظلم اسرع المرسلون واصلحوا ذات البين والتجأوا الى الحكَّام الذين كانوا يمدُّونهم بالوسائل الكافلة بحفظ السلام فما لبثت تلك البلاد ان تنصَّرت ولانت طباع اهلها وجروا على تعاليم الكنيسة بكل وداعة وغيرة

ثمَّ بقيت بلاد فيليبين الى هذه الغاية متمتعة بالوفاق والرفاهية لم يحدث فيها من المشاغبات الَّا ما لا يُذكر منها ثورة الصينيين المستوطنين هناك في السنة ١٦٣٨ و١٦٣٩ فردعتهم الحكومة وكسرت شوكتهم وقتلت منهم عددًا عديدًا. ومنها احتلال الانكليز في مانيليا سنة ١٧٦٢ فانهم استولوا على تلك الجزيرة وبسطوا عليها سيطرتهم ولم يقوَ الاسبان على مقاومتهم فقام احد المرسلين الكاثوليك المدعو « ايدا » ودعا الوطنيين الى الجهاد ضد الانكليز البروتستانت الذين كانوا يبثُّون اضاليلهم بين المؤمنين ويهيجون الناس على الكنيسة الكاثوليكيَّة فلبَّى الوف من الوطنيين دعوة المرسل وساروا بشهامة لمقاتلة الانكليز فغلبوهم وطردوهم من جزائرهم لسنتين من استملاكهم عليها

وفي القرن التاسع عشر هاجر الى جزائر الفيليبين قوم من الاوربيين الذين كانت فشت فيهم عدوى الثورة فنفخوا هذا الروح بين اهلها ونسبوا لذلك المكائد واثاروا في القلوب الاهواء الباطلة لطلب الاستقلال وفي سنة ١٨٢٣ ثار المتعصبون راية العصيان الَّا ان الدولة الاسبانيَّة استدركت الامر وقصَّت جناح الفتن فكبا زندها

وقبل خمس عشر سنة طمعت الولايات المتحدة في استملاك جزائر فيليبين بعد ان ادخلت جزيرة كوبا في حكمها فجعلت تبثُّ بين الوطنيين الرغبة في خلع نير اسبانية وعضدت الجمعيات الماسونيَّة التي جعلت ديدنها معارضة الحكومة الشرعيَّة وكان الحكَّام الاسبانيُّون يتغاضون عنها ولا يكبحون شكيمتها حتَّى تأجَّجت نار الفتنة بعد مدَّة وقام احد زعماء الوطنيين المدعو اغوينالدو سنة ١٨٩٦ وحارب الدولة

باغراء الاميركان. وانتصر على جنودها التي كانت تحت إمرة القائد بلانكو ثم ارسلت اسبانيا بدلاً منهُ بريمو دي ريفارا (Primo di Rivera) فلم يصلح الامور حتَّى قدم رجل ذو مراس اسمهُ بولافيخا (Polavieja) فتعقَّب آثار اغوينالدو وعصبه مدَّة ٥٥ يوماً فغلبهم غلبات متوالية بلغ عددها ٥٧ غلبة سحقت قواهم وكسرت شوكتهم. الَّا انَّ ذوي الغايات رفعوا الشكاوي على بولافيخا واقنعوا وزير الحربيَّة باستدعائهِ الى اسبانية وجعلوا خلفهُ دي ريفا كا الذي قوَّى الثورة بسوء تصرُّفهِ ودفع للثائرين ٤,٥٠٠,٠٠٠ فرنك. فنشط الامر عزائم اغوينالدو واصحابهِ واستأنف الحملة على الحكومة فانتهزت اميركة هذه الفرصة وطلبت من اسبانية ان تتنازل لها عن تلك الجزيرة وتعوّض لها بدفع كميَّة من المال فرضيت اسبانية سنة ١٨٩٨ واستولى ماكينلي على تلك المستعمرة التي كانت تُعدّ من اجلّ الاملاك الاسبانيَّة

امَّا الثائرون فما لبثوا ان شعروا بنير الاميركيين الثقيل وندموا على ما فعلوا باسبانية الرحومة ولات ساعة ندم وقسمٌ منهم لا يزال حتَّى اليوم ناقماً على الولايات المتحدة التي تسعى مع ذلك في ارضائهم وتحسين احوال الاهلين

﴿ رسمها الجغرافي ﴾ قد تحقَّق الجيولوجيُّون انَّ جزائر الفيليبين تُقسم الى قسمين كبيرين قسمٌ منها يلحق باسية بلاد الشرق الاقصى لا سيَّما اليابان وجزائر الصين وقسم يرتبط بجزائر ماليسية الاوقيانيَّة. والارض فيها جبليَّة تتبلسل آكامها وجبالها دون انقطاع امَّا السهول فقليلة الاتساع قد تركَّبت ممَّا تجرفهُ الانهار بسيرها من التربة وتمريض الصخور

وليست جبال الفيليبين بالغة الارتفاع الَّا في قسمها الشمالي في جزيرة لوسون. وكثير من هذه الجبال تكوَّنت بفعل البراكين النارية فمنها ما انطفأت نيرانهُ الباطنيَّة ومنها ما لا يزال يقذف بالرماد والحمم والصخور. اخصُّها جبل أپو (Apó) البالغ ارتفاعهُ ٣١٤٥ متراً ومنهُ تتصاعد في كل حين ابخرة كبريتيَّة تُرى في قمتهِ على شبه غيوم متكاثفة. وبركان جبل مالاسپينا (Malaspina) المرتفع الى ١٤٩٧ متراً فوق سطح البحر وتُرى في اعلاهُ شهب النار. وبركان جبل مايون (Mayon) الشهير بتذوفاتهِ الرماديَّة التي تبلغ مسافة ٣٠٠ كيلومتر بنيَّف. وبركان جبل تال

(Taal) الواسع الفوهة الذي يدعوه الوطنيون باب الجحيم . والزلازل كثيرة في جزائر فيليبين بفعل تلك البراكين ومقاييس الزلازل في المراصد في حركة متواصلة لوفرتها وقد خربت بسببها عدة مدن وقرى

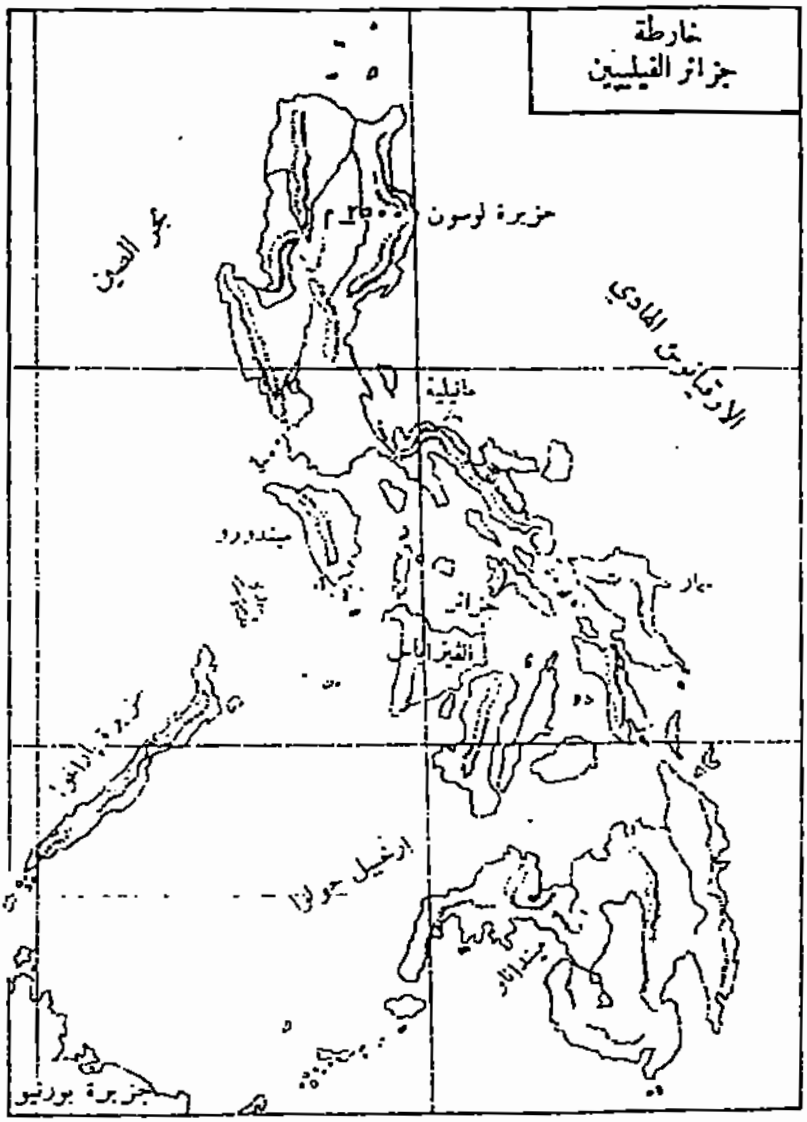

﴿ معادنها ﴾ هذه الجزائر غنيَّة بالمعادن من ذهب وحديد ونحاس وزئبق الَّا ان الصنائع قليلة والحكومة الاسبانية لم تسعَ باستثمار تلك المعادن لما يقتضيه الامر من النفقات الطائلة. وكذلك تكثر في بلاد فيليبين مناجم الفحم الحجريّ الذي باشرت الولايات المتحدة بتعدينه. ومثلها ايضاً وفرة الحمّامات المعدنيَّة والمياه الغازية والكبريتيَّة التي تصلح لمعالجة عدَّة امراض وبعضها يتفجَّر انهاراً او يفور بشدَّة من قعر الارض على هيئات عجيبة

﴿ مناخها. انهارها. منابتها ﴾ مناخ جزائر الفيليبين يشبه مناخ البلاد البحريَّة الواقعة في اواسط خطّ الاستواء فتتقلب عليها الحرارة والرطوبة ولذلك يُعدّ هواؤها غير موافق للصحة الا ان الرياح التي تهب على الجزائر ترطب تلك الحرارة قليلاً وهذه الرياح تُعرَف بالمواسم (moussons) فتهبّ من نيسان الى تشرين من جهة الجنوب الغربي ومن تشرين الى نيسان من الشمال الشرقي وربما هاجت فيها اعاصير شديدة فدمّرت قسماً كبيراً من بلادها العامرة كاعصار سنة ١٨٨٢ الذي حلّ على مدينة مانيلية فقلبها ظهراً لبطن

وهذه الرياح تأتي بامطار غزيرة تُخصب تلك الجزائر وتوفّر غلّاتها وتمدّ انهارها بالمياه. ثم يتبع فصل الامطار فصل اليبوسة. ومن هذه الانهار ما يجاري انهار اميركة وفرة وسعةً ليس طولاً كنهر كاغايان البالغ مسيرهُ مسافة ٣٥٠ كيلومتراً ونهر پاسيغ الذي يصبّ في خليج مانيلية فتتركّب منهُ بحيرة باي ونهر اغنوگوندى يمرّ بمنداناو طولهُ نحو ٤٠٠ كيلومتر وعرضهُ ٣٠٠ متر ومثلهُ نهر پانيامنا في جزيرة لوسون

فمن كثرة المياه ورطوبة الجوّ تزكو المزروعات في جزائر فيليبين وتغني البلاد باصناف المحصولات التي تدرّ على اهلها نعومة العيش. واخصّ هذه المحصولات الابازير والافاويه الطيّبة ولا سيَّما البنّ والارز ثمَّ قصب السكّر يصطنعون منهُ السكّر الاصفر غير المصفّى. واوفر من ذلك التبغ الذي اشتهرت بهِ منداناو ومنسوجات القنب المنسوبة الى مانيلية. وعندهم تُصنع الحبال الكبيرة والقاوس البحريَّة. ومن الاشجار التي تنمو عندهم وتسمق الآبنوس والجوز الهندي الذي يصطنعون منهُ مُسكرًا يدعونهُ طوبا. ومنها الجميز والعَنبة. ولهم الغابات المتَّسعة الارجاء الكثيرة

الاشجار تسكنها القبائل المندّية الشاردة . وهناك اصناف الغزلان والايائل . وعندهم نوع من الجاموس يدعونهُ كَرابو ذو قرون متقوّسة يتخذونهُ لنقل بضائعهم كالبغال

ومن لسباب ثروتهم ما يستخرجونهُ من البحار المحدقة بهم من ضروب الاسماك والنبتان . وعندهم عدّة مغاصات للمرجان واللؤلؤ وانواع الاصداف الغالية الثمن لا سيما في بحر جولو جنوباً

﴿ سكّانها واخلاق اهلها ﴾ يبلغ عدد اهل جزائر الفيليبين سبعة ملايين من النفوس اكثرهم عدداً قبائل ڤيزاياس يسكنون الجزائر المتوسطة وفي بلاد مانيلية عددهم نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ ثمَّ قبائل تاغالا في نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ وهم ارقى اهل تلك الجزائر حضارةً وادباً وسكناهم في جزيرة لوسون . ثمَّ قبائل ڤيكولو يبلغون نحو المليون . ثم المورو وهم اخلاط من المسلمين من عناصر شتى بعضهم من الصين والهند وماليسيه نحو نصف مليون . اما الاوربيُّون فلا يتجاوزون ٢٠,٠٠٠

واهل فيليبين الوطنيُّون دمثو الاخلاق لينو الجانب يكرمون الضيف ويأنفون من السرقة والخلاعة . وهم كثيرو القناعة يكتفون بالقليل لا يأكلون في الغالب الّا الارز يأدمونهُ ببعض الأدام ولا يأكلون الخبز البتة الّا الاجانب منهم . ولبس الوطنيين لا يزيد على ازار يشدُّونهُ على حقويهم والنساء منهم يتخذن فوق ذلك القلائد والحلي

فكلّ هؤلاء الوطنيين للطف عريكتهم وحسن اخلاقهم كانوا يعيشون تحت حكم اسبانية بتمام الرضى يؤدُّون لامرائها الجزية ويكتفون بما وزقهم الله من اسباب المعاش القريبة المنال . اما اصل هذه القبائل فمن اهل الجزائر الماليسية كانوا اذا ازداد عددهم في جزيرة ينتقلون الى جزيرة أخرى فيستوطنونها

ولا يشذُّ عنهم اصلاً ويخالفهم عراقة غير قبائل المورو وهذا الاسم بالاسبانيَّة يدلُّ على المغاربة وهم يخصُّون بهِ المسلمين الذين يسكنون في جنوب الفيليبين وهم كما قلنا عناصر مختلفة قد دخلوا في جزائر الفيليبين قبل مجيء الاوربيين وكانوا يطاردون الوطنيين وينزونهم الغزوات المتواصلة ويسبون نساءهم . فلمَّا قدم ماجلّان وصارت الجزائر في حوزة الاسبان ناجزوهم القتال ولم يزالوا يتعقّبون آثارهم حتّى

دحروهم والجأوهم الى سُكنى الجزائر الجنوبيَّة والانخلاد الى السلم. وتراهم في انحائهم لا يختلطون مع سواهم من اهل الفيليبين ويُعنى بامورهم شيوخ منهم ولهم عادات غريبة يخالفون فيها كلّ سكّان تلك البلاد اخذوها من العناصر التي اختلطوا بها كاهل الهند والصين. ومن سننهم تعدّد الزوجات والطلاق. والحكومة منهم على حذر دائم لأنهم اذا وجدوا لهم غرّة تحاملوا عليها وحاربوا رعاياها واسترقوا كلّ الذين تصل اليهم يدهم. وقد اضطرّت الحكومة في اواسط القرن الماضي ان تزحف لمحاربتهم بالسفن الحربيَّة لتردّ غاراتهم. ومع كونهم مسلمين تراهم يجهلون في الغالب امور دينهم ليس بينهم الّا بعض الافراد يعرفون القراءة وهم يتكلّمون باللغة المالايسيَّة ويكتبونها بالحرف العربي

﴿ لغاتهم وآدابهم ﴾ في جزائر الفيليبين لغات متعدّدة تنيف على العشرين اشهرها لغة الثيزايا التي يتكلّم بها نصف اهل تلك الجزائر. وللتاغالا لغة اخرى دونها شيوعاً. ثمّ اللغة المالايسيَّة. وليس لهذه اللغات آثار قديمة غير ما جمعهُ منها الاوربيون فطبعوهُ بالحرف الاوربي كالامثال والاغاني والانساب والتقاليد التاريخيَّة وقد طبع احد الآباء اليسوعيين معجماً كبيراً لهذه اللغات التي بينها بعض التوافق كما ترى بين اللغات الاوربيَّة والعلماء يدخلونها في حيز لغات يدعونها باللغات البولينيسيَّة. اما اللغة الاسبانيَّة فهي لغة الحكومة وكلّ المتمدّنين من الوطنيين يتعلّمونها في المدارس التي فتحها المرسلون

وهذه المدارس تُقسم اقساماً شتّى منها للعموم ومنها للاحداث المتأدّبين لاحراز العلوم العصريَّة وللآباء اليسوعيين في مانيلية مدرسة لتدريس العلوم العليا اصابت شهرةً عظيمة يبلغ عدد طلبتها ١٣٠٠ دارس وفيها قسم صناعي لتعليم الفنون الجميلة والصنائع. وكان عدد مدارسهم الكبرى قبل العاء الرهبانيَّة في اواخر القرن الثامن عشر ثماني وكليتين. وللآباء الدومنيكيين اليوم مدرسة كليَّة تمنح شهادة الملّة في الفلسفة واللاهوت والآداب. وهم يديرون مطبعةً شهيرة تطبع الكتب في كثير من اللغات الاوربيَّة والاوقيانيَّة وينشرون جريدةً في الاسبانيَّة

ولليسوعيين في عهدنا مرصد فلكيّ مشهور في كلّ الدول يعوّل عليهِ ارباب السُّفن في سيرهم الى الشرق الاقصى. وهذا المرصد كان انشأهُ الاب فورا (Faura)

منذ ستين سنة ثم قام بعده احد كبار الفلكيين الاب ألكه (Algué) فوسّعهُ وجهزهُ باكمل الادوات لرصد النجوم وتدوين كل مظاهر الجوّ من حرارة ورطوبة وثقل هواء ولمطار وكهرباء وزلازل ورسوم فوتغرافيّة للشمس والسيارات وهو مرتبط بعشرين مقاماً في انحاء شتّى ترسل اليهم منها الارصاد فيجمعها اليسوعيّون وينشرونها بالطبع ويوزّعونها على الاساكل وارباب السفن ولا تخرج سفينة من المرفأ دون هذه المعلومات. وقد أُنشئ منذ بضع سنوات مرصد آخر مغناطيسي في مانيلية يُعدّ من عجائب المراصد

ولما استولت اميركة على جزائر الفيليبين كانت عوّلت على نفي الرهبان منها ثمّ ما فتئت ان رأت ما الرهبان من النفوذ والاعمال الجليلة فعدلت عن فكرها. وكذلك ارادت انشاء مرصد فلكي على حسابها رجاء ان تستغني عن مرصد اليسوعيين لكنها ندمت على فعلها لمّا ركنت الى معارمات ذويها فنفقدت بعض سفنها الحربيّة واتخذت مرصد الآباء اليسوعيين كمرصدها الرسمي ومنحت مديريه امتيازات عديدة للقيام باعمال المرصد ونشر ارصادهم فصار ذاك الصرح العلمي مثالاً لكل المراصد الدوليّة. وللابوين فوردا والكه اكتشافات فلكية عديدة وارصاد لضبط انواء البحار ومعرفة حركات الاعاصير جعلت لهما شهرة فريدة بين كلّ علماء عصرهما

﴿ اديانهم ﴾ كان دين اهل الفيليبين لمّا فتح بلادهم الاسبانيُّون قريباً من الدين الطبيعي يعتقدون بوجود إله عظيم يجعلون تحت امره آلهة اصغر منهُ وما كانوا مع هذا يعبدون الاوثان الّا انهم يكرمون الارواح ويقدّمون لها الذبائح ولم يكن لهم كهنة فيقوم مقامهم رؤوس العشيرة. وكانوا مع ذلك يخافون من السحرة ويعملون باوامرهم. امّا الآداب فكانت محصّنة يرعاها اولئك القوم ويعملون بما يلهمهم العقل السليم

وكان بينهم قبيلة واحدة تعبد الاصنام يدعونها مَنْدايا لم يزل منها حتّى اليوم نحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة

فلما احتلّ الاسبان تلك البلاد اخذ المرسلون يسعون في دعوتهم الى النصرانيّة واذ كانوا على صفاء نيّة وطباع سليمة لم يتعب عليهم تنصيرهم حتّى ان الكاثوليك

في تلك البلاد يبلغون اليوم تسعة اعشار الوطنيين يتمّ بتعليمهم وتهذيبهم نحو التي راهب من الرهبانيّات الاوربيّة وهم يثنون على تُقاهم وحسن سلوكهم . ولولا نفوذ بعض الاوربيين لكانوا قدوة لكل الفضائل المسيحيّة . والباقون منهم هم المورو المتعلمون الذين لا يعرفون شيئاً من امور دينهم الّا تقليدًا وهم يصلّون في اكواخ كالعرائش . ثم بعض الوثنيين الهمج الذين يعتزلون في الغابات . ولولا قلّة المرسلين لما بقي هناك وثنيّ . وكلّ من يحكم بتزاهة يقرّ بان الاسبانيين جروا في تلك البلاد على احسن سياسة اذ اطلقوا الحرّية اللازمة للمرسلين فساعدوهم بقوّتهم الادبيّة ونشروا التمدّن الحقيقيّ في تلك الاصقاع التي قضى اهلها نحو ٤٠٠ سنة في الهناء بفضل ارباب الدين وموالاة الحكومة العاقلة

العلاقات بين الشرق والغرب

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

نبتدئ بعون الله فنعرض على القارئ الاديب زبدة ما جمعناه من الفوائد والمباحث التاريخيّة في العلاقات الدينيّة والادبيّة والسياسيّة والتجارية بين الشرق والغرب في القرون الاربعة الاخيرة . وليست غايتنا تأليف تاريخ كامل لكن اتحاف القراء مرة بعد المرة بذلك مأخوذة عن المصادر العلميّة والآثار الخطّيّة يستطيع بواسطتها من يخلفنا من الكتبة ان يؤلف يوماً تاريخاً صادقاً يضمّ شتات الاخبار ويكشف الستار عن الاسرار فتكون معلوماتنا كحجارة أُعدّت للبناء يجدها البنّاء عند الحاجة . والله الموفق للصواب

علاقات بين الشرق والغرب

في الاجيال الوسطى

كان البحر المتوسط منذ القدم مجلبةً للثروة العظيمة التي نالتها الشعوب الساكنة على شواطئه وسبباً لارتباطها بعض ببعض وطريقاً لنشر لواء التمدن بينها وبين